**المحاضرة 10: الجدل النقدي حول قصيدة النثر**

**تمهيد :**

 أثارت قصيدة النثر منذ ظهورها العديد من الإشكاليات والزّوابع النقدية التي ما فتئت تثور بين الفينة والأخرى، والمدهش في الأمر أن تلك المهاترات النقدية قلـّما تعرضت لجوهر قصيدة النثر، وقام أغلبها- بداية- على مصطلح قصيدة النثر ذاته.

 **1) إشكالية مصطلح قصيدة النثر:**

 مصطلح ( قصيدة النثر) هو ترجمة حرفية للمصطلح الفرنسي (poème en prose )، كما هو عنوان دراسة الباحثة الفرنسية سوزان برنار، وهو المصطلح عينه الذي تبنـّته جماعة شعر وأطلقه أدونيس عام 1960 في مقاله التنظيري المذكور.

 ويشير بعض النقاد أن الجدل حول المصطلح هو جدل عالمي" وأن كثيرا من النقاد الأوروبيين المعاصرين يرونه مصطلحا متناقضا، لأن نصفه الأول قصيدة يعني ما ليس بنثر، على حين أن نصفه الثاني ( النثر) يعني ما ليس بشعر، من هنا فان مفهوم كل جزء يتعارض مع منطوق الجزء الشريك في بناء المصطلح"[[1]](#footnote-2).

 ويرى الباحث أن ثمة سعة في اللغة العربية" تساعدنا على استخدام كل مصطلح في مجاله"[[2]](#footnote-3).

 والمصطلح ذاته يحمل في بنيته اللغوية تناقضا بين شعر- نثر، لان قصيدة النثر مبنية في جوهرها على إتحاد المتناقضات حسب سوزان برنار " نثر وشعر، حرية وقيد، فوضى مدمرة ونظام"[[3]](#footnote-4).

 ولن تقتصر تسمية هذا اللون من الكتابة على مصطلح قصيدة النثر فقط، فالباحث في الدراسات الأدبية يلاحظ تردد العشرات من المصطلحات من لدن الباحثين والدارسين وحتى الشعراء أنفسهم.

 ففي زمن وجيز تجمعت مجموعة من المصطلحات أطلقت على قصيدة النثر، والشبيه لها ( الشعر المنثور) مثل ( القصيدة المنثورة)، الشعر المنثور، الشعر المرسل، الشعر المنطلق، النثيرة، النثر بالشعر،...

**2)الموقف النقدي من قصيدة النثر:**

 لم تحظ تجربة شعرية في تاريخ الأدب العربي برمّته بمثل ما حظيت به قصيدة النثر من جدل نقدي واسع، هذا الجدل الذي لم يهدأ منذ ظهورها ورواجها على أغلفة مجلة شعر وحتى يومنا هذا.

 ويرى الباحث رشيد يحياوي " إن الحجج والدعاوى التي غذّت السجال النقدي حول قصيدة النثر وعززت المواقف منها متعددة ومتنوعة، بين ما يخص تكوينية هذه القصيدة، وما يخص أهدافها ومراميها وما يخص وصفها قسيما لقصيدة التفعيلة أو للقصيدة العمودية"[[4]](#footnote-5).

 ويجمل الباحث هذه الحجج والمزاعم في:

* خصوصية قصيدة النثر.
* البديل: أي أنها طرحت نفسها بديلا عن الشعر العمودي.
* الجهل ومحدودية المعرفة من لدن شعرائها.
* الإيدولوجيا ( اتهام روادها وخاصة شعراء مجلة شعر بالعمالة للخارج)[[5]](#footnote-6).

 والمتأمل لهذه الحجج التي أوردها الناقد يلاحظ أنها كلها تحاكم القصيدة من الخارج، فهي لا تحاكم النصوص أو المتن الشعري، بل تحاكم أصحابه.

 ونركز هنا على رمي روّادها بالجهل ومحدودية معرفتهم بالإرث الشعري العربي، وهو رأي الشاعرة والناقدة نازك الملائكة أيضا[[6]](#footnote-7)، وبعض النقاد الذين رأوا أن جهل شعراء قصيدة النثر بالعروض العربي جعلهم يركبون السهل فكتبوا نثرا فنيا وألصقوه بالشعر[[7]](#footnote-8).

 ولكن هذه التهمة سرعان ما تسقط عن شعراء قصيدة النثر، لأن الدارس لبداياتها يلاحظ أن أغلب روادها، إن لم نقل كلهم، من خيرة مفكري بلدانهم، فكلهم كان لهم نشاطات في الرواية والصحافة وغيرهما وبعضهم كتب القصيدة العمودية قبل أن يكتب قصيدة النثر، فلم يأت أحد منهم خالي الوفاض من مطالعات عربية وغربية مما يؤهلهم بامتياز لتجديد نبض الحياة في الشعر العربي المعاصر وضخّ دماء جديدة في شرايينه.

 ولعل رمي رواد قصيدة النثر بالعمالة، والانبهار بالحداثة الغربية هو ما دفع أقطاب قصيدة النثر وخاصة أدونيس للتأسيس لقصيدة النثر العربية وإرساء مشروعيتها في الأدب العربي من خلال مدّ صلتها بالتراث النثري العربي، وخاصة الصّوفي، أو مدّها بسجع الكهان، وحتى بالقرآن بعد ذلك، بوصفه كتابة مغايرة للسائد والمألوف آنذاك، فلا هي بالشعر، حسب سنن الشعر يومئذ، ولا هي نثر تواصلي عادي[[8]](#footnote-9).

 ولكن شعراء قصيدة النثر ركزوا لاحقا على التراث الصّوفي ممثلا في كتابات التوحيدي والنِّفري والحلاج وغيرهم[[9]](#footnote-10).

 والمتتبع للحركة النقدية التي رافقت ظهور قصيدة النثر، يلاحظ أن كلا الفريقين

( المؤيدين والمناوئين) كانوا السبب الأساسي في تكريس كثير من المغالطات، من قبل علاقة الشعر بالإيدولوجيا، موقف الشاعر من الحداثة الغربية، موقفه من التراث العربي... وغيرها من المقولات النقدية التي هيمنت على المشهد النقدي العربي لعقود من الزمن.

 وقصور النقد العربي عن مواكبة هذه التجربة الشعرية العربية واقتصاره فقط على صراع الرفض والتأييد أضرّ بهذه التجربة الشعرية[[10]](#footnote-11)، ولا أدلّ على ذلك من التراجع النوعي الذي عرفته نصوص قصيدة النثر في السنوات الأخيرة قياسا إلى المنجز الشعري لروادها الذي كان يحمل بواكير تجربة إبداعية ثرية جديرة بالإعجاب والاهتمام.

**3)دور مجلة شعر في الحراك النقدي حول قصيدة النثر:**

 تبنت جماعة (شعر) قصيدة النثر منذ شتاء 1958م وهو تاريخ أوّل لقاء شعري مع محمد الماغوط، وفي العدد 11 من مجلة "شعر" ظهرت أول محاولة تنظيرية للتّوجه الجديد، ممثلة في مقالة لأدونيس بعنوان "محاولة تعريف الشعر الجديد"، والّتي وصفها بعض النقاد لاحقًا بأنها إعادة صياغة لآراء سوزان برنار في كتاب "قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا".[[11]](#footnote-12)

 أثيرت في المجلة وبين شعرائها مسألة "هل قصيدة النثر شعر أم نثر فني؟"، وكان الجواب في قسم أخبار وقضايا على لسان هيئة التحرير بأنها "قصيدة شعرية ألحقت بها كلمة نثر، لتبيان منشئها، وسميت قصيدة للإشارة إلى أنّ النثر يمكن أن يصير شعرًا دون نظمه بالأوزان التقليدية، أو بأي أوزان محددة".[[12]](#footnote-13)

 وقد قوبلت المجلة ودعوتها إلى تحديث الخطاب الشعري برفض واستهجان شديدين، بل واضطلع نفر من الأدباء والكتّاب، وحتى الشعراء برمي روّادها بكل نقيصة، واتّهموا روّادها، وخاصةً أدونيس ويوسف الخال بأقسى التهم كمعاداة العربية، والعمالة للأجنبي، وحوربت المجلة بكل الطرق؛ بل ومنع تداول بعض الدواوين التي نشرتها في كثير من الدول العربية.[[13]](#footnote-14)

 ولعلّ من أبرز القضايا التي هيّأت الفرصة للمناوئين لمجلة شعر، كي يكيلوا لها التّهم موقفها من التّراث العربي، خاصةً في السنوات الأولى لتأسيسها، فقد تأثر أعضاؤها بالحداثة

الغربية، ورأوا أن الشعر قطيعة مع التّراث العربي، ودعوا إلى تراثات المراحل التاريخية التي عرفتها شعوب منطقة الشرق قبل مجيء الإسلام، ومنها التراث الوثني والمسيحي والفينيقي والآرامي والمتوسطي، وانطلاقا من هذا الموقف دعت إلى الثّورة على التّراث العربي والعودة إلى تراث الشعر الغربي الحديث، لإنتاج شعر حديث يتماشى مع روح العصر، على حين أنه لا يمكن للشاعر أن يحدث قطيعة مع التراث؛ بل لا بدّ له من تشرّبه وهضمه جيدًا، ثم الاستفادة من تراث الآخرين، لأنّ الإبداع هو الصّدور عن الفهم العميق لتراثنا الشّخصي والتراث العالمي.

 وقد حاولت المجلة استدراك ذلك لاحقًا، من خلال نشرها مختارات من الشعر العربي القديم،

1. - درويش، أحمد، متعة تذوق الشعر، دراسات في النص الشعري وقضاياه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص 288. [↑](#footnote-ref-2)
2. - م، ن، ص 288. [↑](#footnote-ref-3)
3. - المناصرة، عز الدين، إشكاليات قصيدة النثر، ص 30. [↑](#footnote-ref-4)
4. - يحياوي، رشيد، قصيدة النثر ، ص 21. [↑](#footnote-ref-5)
5. - ينظر: م، ن، ص 21-24. [↑](#footnote-ref-6)
6. - ينظر: الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، ص 132 وما بعدها. [↑](#footnote-ref-7)
7. - أطلق الناقد رشيد يحياوي على تيار المناوئين لقصيدة النثر اسم التيار الأصولي النازكي نسبة إلى نازك الملائكة، ينظر: كتابه المذكور، ص 103. [↑](#footnote-ref-8)
8. - ينظر: أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، ط1، بيروت، 1993. [↑](#footnote-ref-9)
9. - ينظر: أدونيس، الصوفية والسوريالية، دار الساقي، ط1، بيروت، 1992. [↑](#footnote-ref-10)
10. - ينظر: يحياوي، رشيد، قصيدة النثر العربية، ص 27-106، الفصل المعنون بـ( مواقف ومغالطات). [↑](#footnote-ref-11)
11. - ينظر: المناصره، عز الدين، إشكاليات قصيدة النثر، ص 34. [↑](#footnote-ref-12)
12. - ينظر: مجلة شعر، س 6، ربيع 66، ص 130. [↑](#footnote-ref-13)
13. - ينظر: حموده، ع العزيز، المرايا المقعرة.ص 87. [↑](#footnote-ref-14)